عالم الغيب والشهادة

من أسماء الله الحُسنى عالم الغيب والشهادة ، وهذا الاسم كما تعلمون زائدٌ على التسعة والتسعين اسماً ، التي وردت في أحاديث رسول الله ﷺ .

عالم الغيب ، الغيب مصدر غاب أي استتر عن العين ، غابت الشمس أي : استترت وراء الأفق.. بل إن الغيب يعني كلَّ غائبةٍ تغيب عن الحواس ، أيةُ غائبةٍ تغيب عن الحواس فهي غيبٌ بالنسبةِ إلى الإنسان ، وكلُّ شيء غاب عن علم الإنسان فهو غيب.. لكن هذه الكلمات ، وتلك التعريفات بالنسبةِ إلى الإنسان ليس غير .

لو أنّ إنساناً وقف خلف حاجز ، هذا حاجز يُغَيّبُ عنه ما وراءه ، أما الذي يقف أمام الحاجز فإنه يرى كل ما غيَّبه ذلك الحاجز ، نقول : هذا المكان غيبٌ بالنسبة لمن يقف وراء هذا الحاجز ، أما الذي وقف أمامه فليس غيباً بالنسبة إليه ، هذا كلام سوف ينفعنا كثيراً بعد قليل .

عالم الغيب ، بالنسبة إلينا مغيب عنا ، فلا أحد من بني البشر يعلم الغيب ، الغيب أنواع.. نوعٌ من الغيب استأثر الله به ، لا يُعْلِمُه أحداً من خلقه كائناً من كان.. من هذا الغيب أن الله عنده علم الساعة ،

ومن هذا الغيب قيامة الإنسان الصُغْرى : الموت ولحكمةٍ بالغةٍ جداً أنّ الإنسان لا يعلم متى يموت ، وهذا لصالحه ، فلو علم لتباطأَ بالتوبة وخسر الآخرة. . فكلُّ شيءٍ يغيب عن علم الإنسان هو غيب ، لكن ربنا عالم الغيب والشهادة .

مثلٌ بسيطٌ جداً من يقف هنا في هذه الغرفة لا يعلم ماذا يجري في الغرفة التي تليها ، أما ربنا جلَّ جلاله فكلُّ شيء أمامه مكشوف ولا تخفى عليه خافية ، عالم الشهادة التي تشهده ، وعالم الغيب الذي يغيب عنك .

في بلدٍ مجاور وقعت حرب أهلية سببت مآسي كثيرة ، استمرت هذه الحروب أكثر من ستة عشر عاماً ، أكلت الأخضر واليابس ، أعرف واحداً من أبناء دمشق يسكن في ذاك البلد المجاور ، وله معمل ، وله تجارة ، وقبل أن يقع أي حادث ضاقت عليه نفسه ، وضاق به ذلك البلد أشدَّ الضيق ، وتعثرت أموره ، إلى أن انتقل إلى الشام هو وتجارته ومعمله ، وبعد أن انتقل ، بدأت المشكلات واحترقت المعامل وأتْلِفَ المال ، وانتهى كلُّ شيء إلى دمار وخراب .

مَن الذي علم ما سيكون ؟ الله جلَّ جلاله ، فإذا كنت معه ألهمك رشدك ، ألهمك تصرفاً يحفظك به ، أو ألهمك تصرفاً ترضى بنتائجه ، لأن الغيب معلوم لديه ، فأنت لا تعلم الغيب ، قد تشعر بحاجة إلى أن تغادر هذا المكان ، فتغادره ، وبعد أن تغادره تنشأ مشكلة أنت عاجز عن مواجهتها ، كذلك قد تشعر بانقباض في أن تسافر على هذه الطائرة ، فتحجم عن السفر عليها ، فتسقط الطائرة ،

من الذي يعلم الغيب ؟ الله وحده ، إذا كنت مع الله فهو الذي يعلم الغيب ويحفظك بهذا العلم ، يعلم الغيب ويوفِّقُكَ ، يعلم الغيب ويلهمك رشدك ، يعلم الغيب ويكيد لك ، يعلم الغيب ويدبِّر أمراً يحفظك به . . الغيب عند الله كالشهادة ، عَلِمَ ما كان وعَلِمَ ما يكون ، وعَلِمَ ما سيكون ، وعَلِمَ مالم يكن لو كان كيف كان يكون .

إذاً لا يَعْزُبُ عن الله جلَّ جلاله مثقال ذرةٍ في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر . . إذا كنت معه وهو الذي لا يغيب شيءٌ عن علمه يوجهك إلى الخير ويدفع عنك الشر قبل أن يقع .

شيء لا يصدق أحياناً ، الأحداث أحداث خطيرة تقع ، أنت قبل أن تقع يحفظك الله منها ، يلهمك أن تغادر ، يلهمك أن تنقل مالك من مكان إلى آخر ، من جهةٍ إلى جهة ، من عُملةٍ إلى عُملة ، وأنت لا تدري ، لأن الله يعلم الغيب ، فإذا كنت معه وتؤدي حقوق العباد ، وتقيم منهج الله يحفظك ، وعلمه للغيب تنتفع به إذ ربنا جلَّ جلاله يصرِّف الأحوال ويقبلها لصالح عباده المؤمنين .

أما الشهود والشهادة ، أي الحضور مع المشاهدة ، عالِم الغيب والشهادة ، أي أنت حاضر وتشهد أو غائب وتجهل ، عالَم الغيب أي غاب عنك ، عالَم الشهادة حضرت وشهِدت ، إما بالبصر أو بالبصيرة ، البصر رؤية العين ، والبصيرة رؤية القلب ، وعالم الغيب : حجبت فجهلت قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ٧٣] .

ذُكر اسمه هذا عالم الغيب والشهادة في آياتٍ كثيرة.. طبعاً الحضور والشهود هو الأصل ، أما العلم والشهود فهو فرع ، قد تحضر وتشاهد بأمِّ عينك ، وقد تعلم وكأنَّك تشاهد .

لكن من اللطائف في قوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل : ١] .

مع أن هذا الحادث لم نره نحن ، فالله سبحانه وتعالى قال : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.. قال بعض العلماء : « **يجب أن يقع إخبار الله لك موقع الرؤية لمصداقية الله عزَّ وجلَّ** » .

شهدت فعلمت وغبت فجهلت ، شهدت الحفل فعلمت وقائعه أو غبت عنه فجهلت وقائعه فهناك عالم الغيب ، وعالم الشهادة ، والله جل جلاله عالم الغيب و الشهادة .

موضوع آخر في علم الغيب

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة : ١ـ٣] .

أي أن الله جلَّ جلاله لا تدركه الأبصار ، غابت عنا ذاته وبقيت آثاره ، نحن من آثاره نتعرف إليه وهذه مهمة العقل.. أدواتٌ ثلاث للمعرفة ، إما أن ترى بحواسك ، وإما أن تدرك بعقلك ، وإما أن تتلقى خبراً بأذنك ، هذه هي أدوات المعرفة وليس هناك أداةٌ أخرى.. إن كان هناك أداةٌ أخرى كالإشراق ، أو الإلهام أو الرؤيا الصالحة يجب أن تكون مقيدةٌ بالشرع ولا نقبل رؤيا ولا إلهاماً ، يخالف الشرع قِيد أَنمُلة.. ديننا دينٌ كاملٌ تام.. قال تعالى :

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ . .

لو أنَّ رجلاً رأى النبي عليه الصلاة والسلام ـ طبعاً في المنام ـ هكذا قال العلماء ، وأمره بما يخالف الشرع ، تردُّ الرؤيا ، ويثبت الشرع . . بل لو أنَّ قاضياً رأى في الرؤيا أنَّ هذا الشاهد كاذب لا تقبل شهادته ، وهو عنده في اليقظةِ صادقٌ فيجب ألا يأخذ بالرؤيا .

الرؤيا يستأنس بها ولا يعتمد عليها إطلاقاً ، لا في حكمٍ شرعي ، ولا في إثبات قضية ، ولا في تصحيح حديث ، ولا في تقييم إنسان . . الرؤيا والإلهام مصادر فرعية للمعرفة ، إلا أنها يجب أن تنضبط بالشرع .

من معاني الغيب أيضاً ، يؤمنون بالغيب ، يؤمنون بشيءٍ غاب عنهم ، ذات الله لا نراها لكن نرى خلق الله ، مصير الإنسان لا نراه ، لكن الله أخبرنا عن مصير الإنسان إما في جنةٍ يدوم نعيمها ، أو في نارٍ لا ينفد عذابها .

الخلاصة أن الغيب بالمعنى الثاني الدقيق ، مالا يقع تحت الحواس أبداً ، الشيء الذي يقع تحت الحواس عالم الشهادة ، والشيء الذي لا يقع تحت الحواس عالم الغيب ، لكنَّ الله عالم الغيب والشهادة .

فإذا لم يؤمن الإنسان بالغيب أصبح كافراً له ، ومن لوازم المتقين أنهم يؤمنون بالغيب ، أي عقلك يعطيك دليلاً قطعياً ، على أنه لا دخان بلا نار ، النار لا تراها ، لكنَّك رأيت الدخان ، وعقلك يعطيك دليلاً قطعياً على أنَّ في المسجد كهرباء وأنت لا ترى الكهرباء ترى آثارها ، ترى حركة المراوح وتسمع تكبير الصوت ، وترى تألُّقَ المصابيح فقط ، تحكم على سريان تيار الكهرباء من آثاره .

بعضهم قال : إنَّ الغيب هو القرآن الكريم أو إنه القدر ، لكن الغيب ـ حقيقة ـ كلُّ شيء غاب عن حواسِّك ، أو كلُّ شيء غاب عن علمك ، وعالم الشهادة كلُّ شيء شهدته فعلمته .

لقد ذكرت في بداية البحث أن الغيب أنواع ، نوع من الغيب استأثر الله به ، ونوعٌ أطْلَع بعض أنبيائه عليه .

قال الله تعالى :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن : ٢٦ـ٢٧] .

لذلك فإنّ النبي عليه الصلاة والسلام ، في أحاديث كثيرة ، حدثنا عن أشراط الساعة ، الكُبْرى والصُّغْرى ، وحدثنا عن آخر الزمان ، وكيف أن الأَمَةَ تلد ربَّتها ، وكيف أن الحفاة العراة ، رعاء الشاة يتطاولون في البنيان ، وكيف يوسَّد الأمر إلى غير أهله ، وكيف ـ كما روي عنه ـ يكون المطر قيظاً والولد غيظاً ويفيض اللئام فيضاً ، ويغيض الكرام غيضاً . وكيف يُؤمَر بالمنكر ، ويُنهى عن المعروف ، وكيف يُصدَّق الكاذب ، ويُكذَّب الصادق ، ويخَوَّنُ الأمين ، ويُؤتمن الخائن ، وكيف تركب ذوات الفروج السروج ، وكيف تكثر الأشجار وتقلُّ الثمار .

هناك أحاديث كثيرة جداً عن أشراط الساعة ، من أين جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام ؟ هو لا يعلم الغيب بذاته إلا أن يعلمه الله به وأكبر دليل على ذلك أنه لمّا جاءه وفدٌ من رعل وذكوان وعصية وبني لحيان فزعموا أنهم قد أسلموا ، أعطاهم النبي ﷺ سبعين قارئاً ثم غدروا بهم في الطريق عند بئر معونة وقتلوهم ، ولم يعلم النبي ﷺ

بهذه الواقعة ، التي لها دلالة كبيرة جداً ، أي أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب بذاته إلا أن يُطلعه الله عليه.. بل إنه حينما اختار موقع بدر ، جاء صحابي جليل اسمه الحُباب بن المنذر ، قال : يا رسول الله ، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال هذا الصحابي الجليل انطلاقاً من غيرته على الإسلام والمسلمين : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل .

الله عزَّ وجلَّ أطلع النبي ﷺ على آلاف القضايا التي هي أقل من هذا الموضوع ، ولكن شاءت حكمته أن يعلِّمنا النبي ﷺ أدب الإصغاء إلى النصيحة ، يعلمنا النبي ﷺ وهو قدوتنا وأسوتنا أدب الإصغاء إلى النصيحة فلما سأله أين الموقع الذي اخترته ؟ قال : هناك يارسول الله ، وأشار إليه ، وأعطى الرسول صلى الله عليه وسلم أمراً بالانتقال إليه .

إذاً : الغيب لا يعلمه إلا الله ، والشهادة يعلمها الإنسان في حدود إمكانه.. فالغيب الذي يمكن أن يُطلع الله نبيه ﷺ عليه ، أنواعٌ ثلاثة : غيب الماضي ، وغيب الحاضر ، وغيب المستقبل.. غيب الماضي قبل الوقت الذي تعيش فيه ، وغيب المستقبل بعد الوقت الذي تعيش فيه ، وغيب الحاضر غير المكان الذي تكون فيه .

مثلاً : أنا في دمشق لا أدري ماذا يجري في حلب ، حلب بالنسبة إلي غيب حاضر ، أما دمشق قبل مئة عام فغيبُ ماضٍ ، وبعد مئة عام غيبُ مستقبلٍ ، والله سبحانه وتعالى ، يعلم غيب الماضي ، وغيب الحاضر ، وغيب المستقبل .

قال الله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] .

هذا غيب الماضي . . أما غيب الحاضر . . فقد قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

أما غيب المستقبل . . فقد قال الله تعالى : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ [الروم : ٢-٤] .

أريد أن أركِّز على هذه الحقيقة وأوضِّحها ؛ فأنت إذا كنت مع الله ، والله يعلم الغيب ، يعلم غيب الحاضر ، فالطرف الآخر وهم خصومك ؛ يعلم ماذا سيفعلون بك ، كما يعلم ماذا سيخططون لك ، وهو يعلمهم ، ويلْهمك شيئاً يقيك تخطيطهم ، يلهمك تدبيراً يحميك من غدرهم ، يلهمك خطةً تنجو بها من مكرهم ، فأنت إذا كنت مع الله أنت مع عالم الغيب والشهادة الذي يفسد على الآخرين مكرهم ، وما أحداث ليلة الهجرة مجهولة لديكم . . لذلك قال الله تعالى :

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ۚ هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ٥١] .

لكن قد توجد مفاجآت ، فهناك آلاف الوقائع والأحداث يفاجأ بها الإنسان والإنسان المبتعد عن الله قد يفقد كلَّ ماله في بضع دقائق ، وأحياناً في دقائق قد يفقد أهله أيضاً ، أما الإنسان المتوجه إلى ربِّه

عالم الغيب والشهادة ، الذي يعلم ما كان ، ويعلم ما سيكون ، ويعلم ماهو كائن في أيِّ مكانٍ آخر ، فقد ينجيه من كل كرب .

ذكر لي أخ أن دماراً كبيراً جداً وقع في مكان ما ، وكان هو في المكان نفسه ، قال لي : والله الذي لا إله غيره قبل خمس دقائق من وقوع الانفجار ، أُلهمت أن أخرج من المكان لكي أشتري الخبز ، وما إن ابتعدت مئات الأمتار ، حتى سمعت صوت انفجار أصم الآذان ، شيء مدمِّر ، فإذا كنت مع الله كان الله معك ، والله عزَّ وجلَّ إذا قال : إن الله مع المؤمنين ، أو مع المتقين ، أو مع الصابرين . . فهذا يعني أنَّه معهم حفظاً ، وتأييداً ، ونصراً ، وتوفيقاً .

لذلك فعلى الإنسان إذا همَّ بعمل شيء أن يصلِّي صلاة الاستخارة فيقول : اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولاأقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . . . اللهم! فإن كنت تعلم هذا الأمر ـ وتسميه باسمه ـ خيراً لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسِّره لي ثم بارك لي فيه .

هو يعلم أنَّ هذه المرأة لا تُسعدك فيصرفها عنك ويصرفُك عنها ، هو يعلم أنَّ هذه التجارة لا تُغنيك بل تفقرك ، هو يعلم أنَّ هذا السفر ليس في صالح إيمانك . . هو يعلم الغيب وأنت لا تعلم ، فإذا فوَّضت ، فقد فوَّضَ الذي لا يعلم لمَنْ يعلم . . وهذا ذكاء وتوفيق .

قد تقف عند بائع تثق به وتقول له : أنت اختر لي ، فقد سلَّمت أمري إليك واختر لي ما يُعجبك ، فيختار لك أحسن ماعنده . . هذا مع إنسان تثق به تفوِّضه فكيف مع الواحد الديَّان ؟!

بالمناسبة.. كلما ارتقى الإنسان في سُلَّم الإنسانيّة يخاف بالغيب ، وكلما هبط إلى مستوى البَهيميّة يخاف بالشهود.. وهذه فكرة دقيقة.. كلما ارتقى الإنسان في سُلَّم الإنسانيّة يخاف بعقله ، وكلما هبط إلى مستوى البَهيميّة يخاف بعينه ، أي إلى أن يرى الخطر ماثلاً عندها يخاف ، علماً بأن الخطر يدرك مسبقاً بالعقل .

فمثلاً يقول الأطباء : إنَّ الدخان يسبب سرطان الرئة ، وهذا النيكوتين الموجود فيه يسرِّع القلب ، ويزيد من خفقان الرئتين ، ويضيِّق الأوعية ، فيرفع نسبة السكر في الدم ، ويرفع نسبة هرمون التجلُّط ، فاحتمال التجلط في دم المدخِّن كبيرٌ جداً ، الأمراض القلبية عند المدخنين عشرة أمثالها عند غير المدخنين ، هذا كلُّه بالعقل يُدرك ، أما المدخِّن الذي يخاف بعينه فإنه لا يقلع عن الدخان إلا بعد أن يصاب بمرض عضال ، فبعد أن يصاب يقلع على الفور.. فمعنى هذا أنَّه إنسان بهيمي.. كلما ارتقى مستواك الإنساني خفت بعقلك ، وكلما تدنى مستوى المرء الإنساني إلى المستوى البهيمي خاف بعينه .

قد تجد الدابة إن رأت حفرة في الأرض تقف ، لقد رأت بعينها.. ، وقد يجد إنسان طريقاً واسعاً وممهَّداً ومعبَّداً ويجد لوحة كتب عليها : انتبه! الطريق مغلق ، فالإنسان العاقل لا يتابع السير ، فالطريق تراه بعينيك مفتوحاً أمامك ، ولكنّ قراءتك للوحة صغيرة تفيدك أنَّ الطريق بعد قليل مغلقٌ فلا تتابع المسير ، فأنت الآن لم ترَ الإغلاق ولكن رأيت فكرة الإغلاق ، فكلما ارتقى الإنسان يتعامل مع الأفكار ، أما إذا هبط إلى مستوى البهيميّة فإنه يتعامل مع الصور .

قد ترى دُوراً للهو ذات فخامة كبيرة ، فيها أجمل أنواع الثريات

والتزيينات والأناقة لكنَّ المعاصي كلَّها تُرتكب فيها ، فالمؤمن يكرهها بعقله ، على حين أن ضعيف التفكير يقدِّرها ويُعظِّمها بعينيه فيمدح فخامتها . . فكلما ارتقى الإنسان تَعامل مع الأفكار بعقله ، وكلما هبط مستواه تَعامل مع الصور بعينيه .

إذاً فأخطر شيء على الصغار أن تريهم قصَّة مُمَثَّلة . . فلو أريناهم إنساناً متديِّناً أحمقاً أو امرأة متديِّنة حمقاء مهملة أولادها ، فهذا الصغير يكره الدين بلا سبب ، فهو في كل الأحوال لا يتعامل مع الأفكار ، فليس عنده إدراك أو عمق أنَّ هذه تمثيلية والذي كتب هذه التمثيلية أراد تشويه صورة الدين ، فهو قد رأى أنَّ الإنسان الذي يمثِّل الدين إنسان غير جيِّد ، على حين أن الإنسان الجيِّد هو الذي أسبغ عليه الكاتب كلَّ صفات الرجولة فهو إنسان شجاع ووفي إلا أنَّه يشرب الخمر ، فخطورة أجهزة اللهو مع الصغار مدمرة جداً ، لأنَّ الصغير لا يتعامل مع الأفكار بل يتعامل مع الصور ، فيكفي أن تريه امرأةً سيِّئةً جداً بزيٍّ إسلامي ، فيكره الإسلام كلَّه ، ويكفي أن تريه امرأةً تحبُّ أولادها حباً جماً لكنَّها متفلِّتة من الدين فيحب الصغير التفلُّت من الدين ، هنا الخطورة أن نسمح لأطفالنا أن يشاهدوا كل ما هبَّ ودبَّ ، فالطفل الصغير يتعامل مع الصور ، وقد نستطيع أن نفسد عقيدته بالصور ، وأن نشوِّه له كلَّ شيءٍ يعرض عليه بالصور .

فلدينا غيب وكذلك شهادة . . وهناك أمثلة كثيرة جداً . . إنسان ينتظر إلى أن تأتي موجة من البرد قارسة فيهيِّىء المدافىء ويشتري الوقود السائل للتدفئة ، وإنسان آخر تجده وهو في أشهر الصيف يُهيِّىء المدافىء ويشتري الوقود السائل اللازم ، ويجهِّز كل شيء لفصل الشتاء دون مشقة ودون ازدحام على الوقود ، أما حينما تأتي

الموجة القارسة فجأةً فلسوف تجد صعوبة بالغة عند شراء الوقود السائل ، فالذي يتعامل مع الأشياء بإحساساته فهو ذو إدراك ضعيف ، أما الذي يتعامل معها بإدراكه فهو ذو عقل راجح .

كتاب الله ـ جلَّ جلاله ـ أشار إلى كلمة عالم الغيب والشهادة في آياتٍ كثيرة . . فقد قال تعالى :

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

ذكرت في أبحاث سابقة حكمة . . ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ . . لو قال الله تعالى : ومفاتح الغيب عنده ، أي هي عنده وقد تكون عند غيره ، أما حينما يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ . . فمعنى ذلك أن مفاتح الغيب عنده حصراً .

وفي سورة الفاتحة ورد قوله تعالى :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

فلو قال : نعبد إيَّاك يا رب ، فهذا يعني أننا قد نعبد غيرك أيضاً ، أما قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ . . فمعناه أننا نعبدك وحدك يا رب ، هذا هو القصر ، فأحياناً التقديم يفيد القصر والحصر .

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ ﴾ . إن كان لديك مجلة قديمة صدرت من قبل عشرين سنة ، فاقرأها فستجد أنَّ الأحداث التي وقعت بعد إصدار هذه المجلة لو عشت في تاريخ صدورها لا يمكن أن تتصوَّر أنَّ الذي وقع يمكن أن يقع ، كان غيباً ، حينما تُهدُّ عروش ، وحينما تدكُّ معسكرات كبيرة عملاقة جداً ، فاقرأ

هذه المجلة القديمة ، وتصوَّر أنَّ الذي وقع ، لو تنبَّأت به قبل أن لأودعوك في مشفىً للمختلين عقلياً لكنَّه وقع فعلاً . . فمن يعلم في يب ؟ الله جلَّ جلاله هو وحده يعلم الغيب .

د يقول لك أكثرالناس : قد عُرض علي شراء أرض مساحتها مئتا وسعر الدونم يومذاك ليرتان فقط ولكنني لم أشترها والآن ثمن نم الواحد مليونان . . لو أنَّك تعلم الغيب لكنت الآن من أغنى ـياء العصر . . أراضٍ شاسعة وواسعة ومئات الدونمات بثمن بخس ، فقد ذكر لي شخص أنَّه قد باع خمسين دونماً بدابة صغيرة كان بحاجة إليها وهذه الأرض ماذا يفعل بها فهي عبء عليه ، أما الآن فسعر الدونم الواحد مليونان . . هذا كان في علم الغيب .

لذلك التجَّار يقولون كلمة لطيفة : تاجر ومنجِّم لا يجتمعان . . لا أحد يعلم ما سيكون ، أحياناً تجد الأمور تسير في طريق مسدود إلى أن ييأس من لا ثقة له بالله ، فقد كان في بلادنا جفاف مخيف كاد حوض دمشق يجف ، وكادت دمشق تعاني من العطش ولكنَّ الله جلَّ جلاله أنزل أمطاراً غزيرةً في الأعوام التالية ، وهذا كان غيباً . . فموضوع الغيب موضوعٌ دقيقٌ جداً .

فأحياناً يقال لك : إنَّهم تمكنوا من معرفة الجنين ذكراً أو أنثى ، فأين قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

﴿يَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ . . فلم يقل الله : يعلم من في الأرحام ذكراً كان أو أنثى . قال : ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾ . . فالحوين المنوي يوجد

على النويَّة فيه ملايين المعلومات المبرمجة ، فهذا الجنين هل سيكَ عالماً كبيراً ، أو أستاذاً في الجامعة ، أو مؤلِّفاً خطيراً ، أو با متجوِّلاً ، أو مجرماً ، أو سجيناً ، أو مصلحاً ، أو مفسداً مثلاً ، وم ياترى سيكون صاحب ملهى أم صاحب دارٍ للنشر ، مَن سيكون ؟ سيتزوَّج ؟ من سينجب ؟ ما دوره في الحياة ؟ هل يكون دوراً هامشي أم دوراً قصيراً فمن يعلم هذا ؟ إذا وجد على النويَّة هذه المعلومات المبرمجة لا يعلمها إلا الله ، فما نسبة معرفة ذكورته أو أنوثته إلا واحد لخمسة آلاف مليون .

أحياناً تجد أباً لديه خمسة أولاد لا يعلم من هو المتفوِّق ، وبعد ثلاثين سنة تجد ولداً منهم قد تألَّق تألُّقاً كبيراً جداً ، وولداً آخر أصبح في الدرجة الدنيا من المجتمع ، مَن الذي يعلم الغيب ؟ الله وحده يعلم الغيب . . علم ما كان ، وعلم ما يكون ، وعلم ما سيكون ، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، فقد قال تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ .

هل أنت مرتاح إلى أنَّ الله الذي تعبده يعلم كلَّ شيء ، وعلمه لصالحك فقد قال تعالى :

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] .

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ .

فأحياناً يقول لك أحد الأشخاص أثناء قيادة مركبة : لو تقدمت سنتيمتراً واحداً لكان وقع لي حادث أليم ، فمن يعلم الغيب ؟!

الله عزَّ وجلَّ يصرفك أحياناً عن شيء مدمِّر ، فيلهمك رشدك . . إنسان له تجارة معيَّنة ، والبضاعة موجودة ، والطلب عليها شديد ، والتصدير ميسَّر ولكنَّه قال لي بالحرف الواحد : والله! شعرت بضيق وانقباض بصورة غير معقولة ، وبلا سبب أو تعليل ، واشتدَّ الضيق عليَّ إلى درجة أنّني أحجمت عن تصدير هذه البضاعة ، ثم كان الذي كان ، فُرِض على الذي قاموا بالتصدير في ذلك العام ضرائب أكلت أخضرهم ويابسهم ، ونجَّاه الله من هذه الضرائب التي لم تكن في الحسبان ، والسبب أنَّه أنفق مالاً وفيراً في خدمة بيوت الله عزَّ وجلَّ . . ولأنَّ الله عزَّ وجلَّ يعلم الغيب صرفه عن هذا العمل ، وهناك آلاف الشواهد المشابهة ، فأنت حينما تعبد الذي يعلم الغيب ، فعلمه للغيب كلُّه لصالحك وأنت لا تدري . . من هنا قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

سألني أخ ذات مرة عن قضية فيها شبهة ، فأخبرته بأن فيها شبهة ، فقال لي : ليس لي دخل إلا منها . فقلت له : هذا شأنك لا شأني وقد سألتني فأجبتك . ولكن يبدو أن خوفه من الله غلب عليه فامتنع عن هذه الطريقة في التعامل وكان امتناعه لله ، في حين أنها كانت رائجة جداً وتدر عليه دخلاً كبيراً جداً ، وكان في بحبوحة كبيرة ، فلما امتنع عن هذه الطريقة المشبوهة في التجارة التزاماً بشرع الله سبحانه ، ومضى عليه أكثر من ثلاثة أشهر ودخله قليل جداً ثم مُنِعت

هذه الطريقة من أصلها قسراً ، فجاءني وقال : الحمد لله الذي تركتها لله ، بعد حين كنت سأتركها مقهوراً ومجبوراً مع الإثم والوزر ، أما الآن وقد تركتها رجاء مرضاة الله وأنا في الأوج ، ثم كافأني الله بأن فتح لي باب رزقٍ وفير لم يكن بالحسبان .

موضوع أنَّك تعبد الذي يعلم الغيب موضوع دقيق ، فأنت في راحة لأنَّ كل ما سيكون هو في علم الله ، لذلك يوجِّهك الله توجيهاً لصالحك ، فالمؤمن يُلهِمُه المَلَك ، والمنافق يدفعه الشيطان ، يدفعه إلى أن يبخل ، يدفعه إلى أن يحقد ، يدفعه إلى أن يخاصم زوجته ، يدفعه إلى كلِّ المشكلات .

آيةٌ ثانية قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ .

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ الحكيم كما تعلمون يضع الشيء بالقدر المناسب ، وفي المكان المناسب ، وفي الوقت المناسب ، وليس في الإمكان أبدع مما كان ، وكل شيءٍ وقع أراده الله .

و﴿الْخَبِيرُ﴾ : الخبرة هي العلم الذي يتعلَّق بالمستقبل . . فأحياناً تقوم ببناء آلة بمعرفة وعلم عالٍ جداً ، لكن مع الاستعمال تكشف أنّ فيها أخطاء لم تكن في الحسبان ، فالعلم مع المستقبل يصبح خبرة .

وفي سورة التوبة قال تعالى :

﴿ ۞ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ۖ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ٩٤] .

وفي السورة نفسها قال تعالى :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

فالآيتان متشابهتان .

وفي سورة الرعد قال تعالى :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد : ٩] .

وفي سورة المؤمنون قال تعالى :

﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩٢] .

وفي سورة السجدة قال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [السجدة : ٦] .

وفي سورة الزمر قال تعالى :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر : ٤٦] .

وفي سورة الحشر قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢] .

وفي سورة الجمعة قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة : ٨] .

وفي سورة التغابن قال تعالى :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [التغابن : ١٨] .

ممكن أن نلخّص المواقف العملية للمؤمن من خلال هذا الاسم أنت إذا استقمت على أمر عالم الغيب والشهادة لن تفاجأ بغيبٍ مدمِّر ، أنت إذا استقمت على أمر عالم الغيب والشهادة كان علم الله للغيب لصالحك ، يحميك من كل سوء ، يقيك شرَّ أعدائك ، يُلهمك رشدك ، يُلهمك الخير وأنت في حرزٍ حريز .

حينما تعلم أنَّ الله يعلم . . وهذه الحقيقة وردت في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

أي إنَّك إذا علمت أنَّ الله يعلم استسلمتَ وارتحتَ ، لذلك يقول المؤمن أحياناً : اللهمَّ خِر لي واختر لي . . أي يا رب! أنت اختر لي .

روي أن من أدعية النبي ﷺ مارواه عَبْد اللهِ بْن يَزِيدَ الْخَطْمِيِّ الأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : « **اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغاً لِي فِيمَا تُحِبُّ** » .

قال تعالى :

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وأقول مرة أخيرة . . . أنت تقف هنا ، لا تعلم هناك ما سيكون ، فقد يكون لك عدو كبير خطير مخيف يدبِّر لك أمراً ما ، لكنَّ الله يعلم ما أنت فيه وما خصمك فيه ، فإذا كنت مع الله عزَّ وجلَّ ألهمك رُشدك ، ألهمك الخلاص من هذا العدو ، أو ألهمك تدبيراً مضاداً

لتدبيره ، أو ألهمك سلوكاً يُعطِّل عليه مَكْرَهُ لأنَّه يعلم الغيب ، وهذه هي أهم فكرة في هذا البحث ، أنت إذا كنت مع الله فأنت مع عالم الغيب والشهادة ، الغيب لصالحك فلا توجد لديك مفاجأة ، فتجد المؤمن الصالح كل شيء يسيِّره الله به لصالحه والغيب يكشف له الحقيقة .

وتجد الإنسان غير المستقيم يخطط . . فذات مرة فكَّر إنسانٌ وأكثرَ من التفكير الجاد ثم باع كلَّ ما يملك واشترى به عملة لبنانية ، فمن يعلم أنَّ هذه العملة سوف تصبح متدنية وسيصل سعر كل دولارٍ واحدٍ يساوي ثلاثة آلاف وثمانمئة ليرة لبنانية ؟ باع كل أملاكه وتاجر في العملة الصعبة فكانت خسارته دماراً ووبالاً ، فمن يعلم الغيب ؟ الله عزَّ وجلَّ وحده هو الذي يعلم .

فحينما يكون الإنسان مع الشيطان ومنحرفاً عن الخط الإسلامي الصحيح فالغيب ليس في صالحه ، فيفكِّر ثم يفكِّر حتى يجهد نفسه تقليباً للأمور واستكشافاً لخفاياها ، ثم يجعل الله تدميره في تدبيره لأنَّه لا يعلم الغيب ، وتخلى عمن بيده الخير .

أحياناً تجده يضع كل أمواله في مشروع غير ناجح ، لو علم الغيب لما أقدم على هذا المشروع ، أما المؤمن فهو لا يعلم الغيب ولكنَّ الله يدافع عنه ، لكنَّ الله يسيِّره ، لكنَّ الله يحفظه ، لكنَّ الله يلهمه ، لكنَّ الله يصرفه عن هذا الشيء ، وقد قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ .

فأدق ما في بحثنا هذا النقطة التالية : أنت إذا كنت مع الله فهو يعلم الغيب ، ويعلم ما سيكون فلذلك يلهمك رُشدك حيال

ما سيكون ، فاللهمَّ اجعلنا من هؤلاء الذين يستسلمون لك يا ربّ ، ويفوِّضون إليك كل أمورهم .

اللهمَّ! أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارضَ عنَّا اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلِّغنا به جنَّتك ، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا ، ومتِّعنا اللهمَّ بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تُسلِّط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمدٍ النبيِّ الأميّ وعلى آلهِ وصحبه وسلَّم .

* * *